المحور الرابع
إسهامات مملكة مالي في بناء الصرح الحضاري العالمي .

1. في ميدان التشريعات(-كوروكان فوكا)

تنسب الروايات الشفوية لسونديانا كيتا إنشاء أول دستور عرفه السودان الغربي في تاريخه، ويعد هذا الدستور الذي أنشئ في قرية " كوروكان فوكا" عام 633هـ/ 1236م حسب هذه الروايات، بمثابة الميلاد الحقيقي للأمة المالية بأكملها[1]. وتقع قرية كوروكان فوكا قرب مدينة كنغابا، على بعد200كيلومتر جنوب مدينة بماكو الحالية[2].اختارها الماليون لتكون مقرا لميلاد دستورهم[3] الذي سوف يقنن قواعد عرفهم ومحرماتهم التي كانت تنظم العلاقات فيمنا بين عشائرهم، وبين عشائر الغرب الإفريقي الأخرى[4]. فكان ذلك الاجتماع إذن بمثابة جمعية تأسيسية حقيقية للإمبراطورية المالية الناشئة.ولقد كانت فكرة تنظيم ذلك الاجتماع من اقتراح كبيري الرواة الشفويين الخاصين بسونديانا كيتا وهما:بالا فاسيكي كوياتي(*Bala fasséké Kouyaté*)، وكالاجي سونغوي دياباتي(*Kaladjé Songhoï Diabaté*) بالإضافة حكام الإمارات المندية[5]. لكننا نضن بأن سونديانا كانت له النية أيضا بعقد هذا المؤتمر، وتزويد إمبراطوريته بميثاق حتى قبل أن يقترح عليه الأمر من طرف هؤلاء الرواة والأمراء، ذلك أن رواة كيرينا يذكرون بأن سونديانا كان قد أطلع نبلاء مدينة كيتا عندما زارهم من أجل الاستحمام في بحيرة "موكويا - جي" بأنه سيعلن قريبا عن ميثاق أساسي لكل بلاد مندن، وقد ذكر ذلك باللغة المالنكية حيث سماه مندن باسيكي كان(*Manden bassigui kan*)[6]. وانعقداجتماع كوروكان فوكا سنة633هـ/ 1236م، أي بعد سنة واحدة من انتصار كيرينا الشهير، لكننا لم نجد في المصادر الشفوية اليوم والشهر الذي انعقدت فيه. وتشير هذه المصادر إلى أن قرية "كوروكان فوكا" أخذت اسمها من هذا الحدث السياسي والتاريخي الهام، فهي تتشكل من ثلاث كلمات مالنكية هي:كورو وتعني جمعية، كان وتعني اليمين وفوكا التي تعني الفرجة في الغابة[7].

---

1 Diawara (Gaoussou) , Aboubakari2, explorateur manding. ,p51)**1**(

(**2**)Sissoko(Birama) ,La charte de l'ancien empire du Mali pourrait inspirer les Maliens d'aujourd'hui. In site : http://base.d-p-h.info/fr/fiches/organisme - 158.html.consulté le 04-12-2010

(**3**)تم اكتشاف هذه النصوص القانونية عام 1998م خلال عقد ملتقى نظم في منطقة "كاكان" بغينيا، بمبادرة من الوكالة، الفرنكوفونية عن طريق مركزI .C (consultant international) ومركز الدراسات اللسانية والتاريخيةعن طريق الروايات الشفوية.

(Centre d'études linguistiques et historiques par lestraditions orales. (CELHTO)،وجمعت الباحثين والرواة الشفويين القادمين من السنغال وبوركينا فاسو ومالي، ومن مختلف المقاطعات لجمهورية غينيا. وكان الهدف من هذا الملتقى هو تشجيع التعاون بين الرواة الشفويين التقليديين، والباحثين المعاصرين من أجل الحفاظ على التراث الشفوي الإفريقي. فأخذ الرواة يسردون رواياتهم التي يعرفونها حول القوانين التي سنها سونديانا. وبذلك تمكن المؤتمر من جمع كل مواد القوانين وعددها 44 مادة.

(**4**)نيان تمسبر جبريل، ماليو التوسع الثاني للماندينغ، ص 135 .

(**5**)Diawara (Gaoussou) ,Op.Cit, p51

(**1**)Youssouf tata cissé et Wa kamissoko ,La grande geste,t2 p 38.

(**2**) Diawara (Gaoussou) ,Op.Cit, p51

وبهذا تكون هذه الكلمة المركبة تعني (الجمعية التي أدي فيها اليمين). وقد انعقد هذا المؤتمر تحت القيادة السامية لسونديانا، وكان نائبه هو أخوه غير الشقيق مندي بوري، ومحاط بأربعة من رؤساء قبائل هم : سيبي كاماجان كامارا، تابون نغابا فران كامارا، فاكولي كوروما أو(دومبيا) وتاولي تونكارا (وهو الأخ الأصغر لملك نيما وهو نيما موسى تونكارا). حيث يعتبر هؤلاء الرجال من اقرب الناس إلى سونديانا، باعتبارهم كانوا هم من رافق سونديانا إلى منفاه بميما، ودعموه في كل قراراته[1].

ولقد تمخض عن اجتماع كوروكان فوكا أربعة وأربعين قانون أو قرار[2].شملت تنظيم السلطة السياسية، وحددت العلاقات الاجتماعية، ونصت على المبادئ الأساسية الموجهة والمنظمة للحياة اليومية في مندن. كما قررت هذه الجمعية اختيار إمبراطور مالي، حيث نودي بسونديانا رسميا منسا (وتعني ملك باللغة المالنكية)، أو ماغان (أي إمبراطور بلغة السوننكي)، وكان ذلك أول قرار يتخذ في هذا الاجتماع. وإذا أردنا تصنيف قوانين دستور كوروكان فوكا إلى ميادين مختلفة، فإننا نجدها تشمل الميادين التالية.

أ.حماية البيئة:

كان للبيئة نصيب وافر من اهتمامات سونديانا، وخصص لها ميثاقه عدة مواد للحفاظ عليها، وخاصة الغابات التي تنتشر بكثرة في مرتفعات ماندينغ، وتشكل البيئة الأساسية للمالنكي، حيث تنص المادتين 40و41 من القانون المنبثق عن اجتماع كوروكان فوكا على أن الغابة هي أغلى ما يملكه المندن، وبالتالي أوصى بوجوب حمايتها والمحافظة عليها من طرف جميع السكان من أجل سعادتهم. كما شدد كثيرا على الاحتياطات الواجب مراعاتها في حالة إشعال النار في الغابة لسبب من الأسباب.

حيث جاء في المادة 41 بأنه قبل إشعال النار في الغابة لا يجب أن ننظر إلى الأرض، وإنما يجب رفع رؤوسنا إلى قمة الشجرة[3]. وهذا من اجل إدراك قيمة الشجرة وجمالها، وبالتالي يحث هذا الدستور على ضرورة منح الإنسان الذي يريد إشعال النار في الغابة الوقت لمراجعة قراره، ومعرفة خطورة الأمر الذي يقدم عليه.

أما فيما يخص الحيوانات فقد دعا الميثاق إلى ضرورة ربط الأليفة منها في أوقات الزرع ولا يطلقونها إلا بعد انتهاء موسم الجني [4] وهذا حتى لا يتسببون في إفساد الزرع والمحاصيل الزراعية، ويستثنى من هذه التعليمة كل من الكلاب والقطط والبط والدواجن[5]، حيث لا يخضعون لهذه التدابير وذلك ربما لكونها حيوانات تعيش على التقاط غذائها بنفسها،

(**3**)Ibid, p52

(**4**)تقول بعض الروايات المنقولة بأن هذا الدستور يتضمن 130 مادة، لكنها لم تحتفظ إلاّ بـ 44 مادة فقط. أنظر: سولومانا كونتي: مذكرة تاريخ مندن القديم و الحديث. In revue électronique : Copyright :N°C, année 1999-2000 .

(**3**)Kouyaté Siriman ,Op.cit., p9.

(**4**)Ibid, p9

(**1**)Kouyaté Siriman ,Op.cit., p9.

ولا تتسبب في إفساد الزرع. أما بالنسبة للكلاب فغنهم يحتاجون إليها طليقة حتى تقوم بمهمة الحراسة.

ب.النظام السياسي:

لقد سطّر اجتماع كوروكان فوكا باعتباره جمعية تأسيسية أو جبارا (*Djbara*) بالمالنكي، مبادئ الحكم والإدارة لإمبراطورية مالي، والذي جعل منه نظاما ملكيا وراثيا يكون الملك فيه لسونديانا ـ الذي لقب بمنسا(أي الإمبراطور) ـ ولأبنائه وأحفاده من آل كيتا من بعده. كما نصت بنوده على وجوب اتخاذ أمراء المندي من آل كيتا زوجاتهم الأولى دائما من بين نساء عشيرة كوندية، وهذا تخليدا لذلك الزواج التاريخي الذي بين والد سونديانا ناري فاماغان بسوغولون بيريتي والدة سونديانا والتي تنتسب لآل كوندية[1]. ولقد حافظ دستور مالي الجديد على التقاليد الإفريقية القديمة التي تجعل الشقيق يخلف شقيقه في الحكم، بالإضافة إلى احتفاظ المنسا بمنصب القاضي الأول في البلاد، على اعتبار أنه رب العائلة والرعية. لهذا نجد أن ملوك مالي من آل كيتا كانوا يخاطبون من طرف شعوبهم بكلمة "مغا منسا" والتي تعني أبي الملك[2].

وتحدد المادة 12من قانون كوروكان فوكا شروط انتقال الحكم من ملك ميت إلى ملك آخر، فرغم أن وراثة الحكم عند آل كيتا تتم بطريقة أبوية[3]، إلا انه لا يحب أن يعطى الحكم إلى الإبن في حالة وجود أحد أبائه حيا.أي أنه لا يمكن توريث ابن الأخ طالما أن أباه مازال حيا، ولا يمكن توريث الإبن طالما أن عمه على قيد الحياة، كما يمنع إعطاء الحكم للطفل القاصر الذي لم يبلغ سن الرشد[4].ونشير هنا إلى أن سونديانا كرس التقاليد المتبعة في إفريقيا الغربية فيما يخص نظام الحكم والتداول على السلطة وكذا صلاحيات الملك،حيث كانت عملية اختيار الملك الذي يرث العرش تتم من طرف العائلة الملكية، والملك الجديد لا يتولى مهامه رسميا إلا بعد إجراء جملة من الطقوس الضرورية لذلك. كما أن سلطة الملك كانت تخضع لشيء من الرقابة البرلمانية، من خلال تواجد مجلس يشبه البرلمان مكون من الوزراء والنبلاء معينين بطريقة وراثية، بالإضافة إلى رجال الدين ورؤساء بعض العائلات[5].

وبذلك يكون سونديانا قد أسس للنظام البرلماني في إفريقيا، وابتعد بذلك عن النظم المطلقة المتبعة في ممالك السودان الغربي آنذاك. حيث نجد في المادة 42 من ميثاق مندن ما

(**1**) نيان تمسير جبريل، مالي والتوسع الثاني للماندينغ، ص 145.

) نفسه، ص 145.**2**(

(**1**) و هذا خلاف ملوك غانة الذين كانوا يورثون ابن الاخت في الحكم، حيث يقول عنهم البكري،(المصدر السايق،ص175):« و تلك سيرتهم و مذهبهم أن الملك لا يكون إلا في ابن أخت الملك لأنه لا يشك فيه أنه ابن أخته ويشك في ابنه».

(**2**) Kouyaté Siriman , Op.cit., p7- CEHLTO , La charte de kurukan fuga,p48

(**4**) Kouyaté Siriman : *Op.cit.*, p7

(**4**) Delafosse(Maurice) , Les civilisations Négro-africaine. Librairie Stock, Paris, 1925, p92

يشير إلى وجود مجلس أو برلمان يمثل صوت الشعب، والذي ذكر بالتجمع الكبير، وتنص المادة المذكورة على أن الشعب يكتفي بممثليه الشرعيين في هذا التجمع[1].

وفي الأخير اختتمت مواد الميثاق بأحكام نهائية تُذَكّر بضرورة تطبيق ما جاء في نصوصه، وتحذّر من العقاب كل من يخالفها عبر كامل التراب المالي[2].وبذلك أعطت مواده صفة الإلزامية، وجعلت منه الدستور الوحيد في أرجاء الإمبراطورية. وبهذا يكون سونديانا أول ملك سوداني استطاع أن يوحد إمبراطورية كلها، بجميع إماراتها ومختلف شعوبها وعشائرها، حول دستور واحد تذوب فيه كل الاختلافات التشريعية، وتنسجم فيه جميع تقاليد ومبادئ الإمبراطورية، وتخضع له جميع الطوائف والعشائر والطبقات. كما يكون سونديانا قد اقترب بذلك كثيرا إلى مفهوم الدولة الوطنية، وهو في النصف الأول من القرن الثالث عشر للميلاد/السابع للهجرة. حيث ينسب الرواة الشفويون لسونديانا تصريحا يكون قد أدلى به أمام الجمعية التأسيسية التي دعاها إلى كوروكان فوكا من اجل المصادقة على الميثاق بعد تعديلهن جاء فيه: « الآن، وبعد أن أصبحنا أسيادا لقَدَرنا، سوف نؤسس وطننا على أسس متينة وعادلة، ومن أجل هذا علينا أن نسن القوانين التي لا بد على الشعب احترامها وتطبيقها» [3].

ب.التنظيم الإداري للدولة:

قسم سونديانا الإمبراطورية إلى نوعين من المقاطعات، وهي:

1. تلك التي انضمت إلى سونديانا منذ البداية وبمحض إرادتها، وهي المقاطعات التي احتفظ ملوكها بألقابهم كملوك[4] مثل ميما وكومبي صالح، حيث يذكر العمري بأنه ليس في مملكة مالي من يطلق عليه اسم ملك إلا صاحب غانة، وهو كالنائب له وإن كان ملكا[5]. بينما كانت إمارة ميما هي من احتضنته في صباه، واتخذ منها منفى له، وجهّز جيشه لمحاربة الصوصو حسب الروايات الشفوية[6].

2.أما النوع الثاني من المقاطعات، فهي تلك التي انضمت عن طريق الفتوحات العسكرية، والتي كان يعين فيها حاكما أو فران(Faran) إلى جانب الرئيس التقليدي[7]،لكنها حافظت على استقلال داخلي ملحوظ[8].وبذلك يكون سونديانا قد شكل نظاما إداريا فيدراليا

)**1**(Op.Cit ; p9 CEHLTO :

(**1**)Kouyaté Siriman ,Op.cit., p10.

(**2**) Youssouf tata cissé et Wà kamissoko, La grande geste du Mali, tome2, p39.

(**3**) نيان تمسير جبريل:المرجع السابق، ص 145.

(**4**)مسالك الأبصار، الجزء الرابع، ص 110**.**

(**1**)Youssouf tata cissé, Op Cit, p39.

(**2**)نيان تمسير جبريل:المرجع السابق، ص،146.

(**3**)Janson (Jan),Epopée, histoire, société, Le cas de Soundjata, Mali et Guinée, p85,

مكونا من عدد كبير من الإمارات[1]والحاميات العسكرية المكونة من الجنود المندينكا لضمان الأمن، ولقمع أي ثورة أو انتفاضة محتملة[2].وفي نفس الوقت نجد أن سونديانا قد حافظ على الطابع المركزي للدولة من خلال تعيين أفرادا من عائلة كيتا على هذه الإمارات والممالك برتبة "فاربا" أو "فاران"[3].وتتخلص مهمة الفاربا في السهر على حفظ الأمن والنظر في الأمور الإدارية، ويساعده في عمله كاتب ينفذ أوامره[4].ولقد حاول سونديانا أن يقيم صلات وثيقة بين مختلف العشائر المندية والعشائر المنتمية لأعراق سودانية أخرى، ويحدث انسجاما بينهما. كما أدمج تلك العشائر في الدولة المالية الكبرى، فنجده يمنح قبائل السومونو والبوزو (وهي من العشائر المندية) لقب سادة المياه، من خلال إشرافهم على الملاحة في النيجر. كما قام بتوزيع قبائل الصوصو على الطوائف الحرفية، واعتبر أقاليمها من أملاك الإمبراطورية[5].كما قسم سونديانا الإمبراطورية إلى منطقتين عسكريتين كبيرتين، شمالية وجنوبية يشرف عليهما قائدان يخضعان لأوامر سونديانا شخصيا، فكان قائد الناحية الشمالية يسمى"سنكار - زوما"، أما قائد الناحية العسكرية الجنوبية فيسمى "فاران - سورا"، وكل واحد من هؤلاء القادة يخضع له عدد من الضباط وعدد من الكتائب، والجنود[6].

وكان الجيش مكون من طبقة المحاربين المنديين المعروفين باسم كالا - تيغي(Kala – tigui)، والذين يشكلون ارستقراطية عسكرية مميزة بنظامها التربوي الصارم المرتكز على الصبر والجلد، حيث كان أفراد هذه الطبقة تتدرب على التأقلم مع الحياة الريفية الصعبة منذ بلوغهم سن السابعة من العمر، وتستمر إلى غاية سن العشرين، يجتاز خلالها هؤلاء الشباب عدة مراحل من الصعاب والتمرينات الشاقة، يثبتون خلالها قوة صبرهم وجلدهم، كما يتعلمون المصارعة والصيد والقنص، وتنتهي العملية بالاختتان الجماعي في سن الثامنة عشر أو العشرين، بعدها يصبح الشاب رجلا قادرا على الحرب والدفاع عن قبيلته ووطنه، كما يحق له بعد ذلك ارتداء لباس الرجال وهو القبعة والقميص والسروال، كما يصبح ملزما بالاستجابة لنداء الملك في حالة التعبئة للحرب، لكنهم لم يكونوا ملزمين بالمكوث داخل الثكنة[7].وبالإضافة إلى الجيش الملكي فقد أحاط سونديانا نفسه و دولته بمجموعة من الأسر

(**4**)نظم سونديانا إمبراطورية مالي لا مركزيا بحيث قسمها إلى400 مدينة، و إلى20 إمارة، وكل إمارة مقسمة إلى مقاطعات، وكل هذه الكيانات الإدارية كانت مسيرة من طرف سلطات دينية وسياسية مسؤولة أمام الملك وتعرف بالفاربا.(Tidiane N’diaye :La grande marche des peuples noirs.)

(**5**) Panhuys(Henri) , La fin de l’occidentalisation du monde. Editions l’harmattan, Paris 2004, p319.

(**6**) Trimingham (Spencer) , The history of islam in West Africa.p76.

(**7**)الشكري أحمد:المرجع السابق، ص 190 - السعدي(عبد الرحمان):تاريخ السودان،ص10 . , Delafosse(Maurice) H S-N,t1,p160

(**1**)نيان تمسير جبريل: المرجع السابق، ص 145.

(**2**) Niane temsir djibril ,Le soudan occidental au temps des grandes empires. السعدي: المصدر السابق، ص p120.11

(**3**)Niane temsir djibril ,Op.Cit,p121

المخلصة والمقربة منه، مثل أسرة توري، سيسي وبيريتي، وهي عائلات تتميز بالإضافة إلى الإخلاص لسونديانا وعائلته، بالثقافة والعلم[1].

أما فيما يخص النظام القضائي فيبدو أن سونديانا كان يتولاه بنفسه، إذ كان يمثل القاضي الأول في البلاد، لهذا فلقد كان يمارس القضاء من خلال المقابلات اليومية مع رعيته، وخلال هذه المقابلات كان يستمع بنفسه لشكاويهم ضد أعوانه وممثليه في مختلف الإمارات والمقاطعات، وكذا ولاته الذين عينهم على الأقاليم، حيث كان يتخذ القرارات الفورية، وكانت أحكامه إلزامية ولا تقبل النقض ولا الاستئناف[2].

ج: محاربة الرق:

يذكر الإدريسي (ألف كتابه سنة548هـ/115م) بأن أهل سلى وتكرور وغانة كانوا يغيرون على أرض لملم ويسلبون أهلها ويجلبونهم إلى بلادهم، فيبيعونهم إلى التجار الداخلين إليهم، فيخرجهم التجار إلى سائر الأقطار[3]. كما ذكر ابن سعيد الذي جاء من بعده بأكثر من سبعين سنة (ألف كتابه بين 625و640 للهجرة/1228و1243ميلادي) بأن أهل ملم يعرفون من خلال الرقيق في بلاد المغرب[4].

وبذلك نستنتج من خلال هذين النصين بأن تجارة الرقيق كانت منتشرة في بلاد مندي، وبأن السودانيين أنفسهم هم من كانوا يغيرون على سودانيين آخرين مثلهم ويبيعونهم إلى تجار الرقيق. وإذا علمنا بأن أهل سلى وتكرور وغانة كانوا مسلمين في الفترة التي كتب فيها الإدريسي، فإن هذا يدل على أن المسلمين السودان كانوا يغيرون على أهل لملم باعتبارهم كفار يجوز سبيهم. وبما أن الفترة التي كتب فيها ابن سعيد تتزامن مع جزء من الفترة التي حكم فيها سونديانا إمبراطورية مالي[5]. فإن ذلك يبين بأن هذا الأخير يكون قد عاصر فترة استرقاق الزنوج من أرض اللملم أو غيرها، وبيعهم إلى تجار المغرب، فلقد كانت ظاهرة القبض على أشخاص أحرار وتحويلهم إلى عبيد وبيعهم في أسواق النخاسة منتشرة كثيرا في بلاد الماندينغ،[6]وكان بعض قادة سونديانا المقربين يمارسون هذا العمل، حيث تذكر الروايات الشفوية المنقولة بأن القائد تيراماكان قبض بنفسه على عدد كبير من العبيد، وأن فاكولي دومبيا كان يملك في إمارة سولون(Solon)الواقعة على الضفة اليمنى للنيجر، بلدا

(**4**)Panhuys(Henri) ,Op.Citp319,

(**1**)Sow(Amadou aliou) ,La Mauritanie mon pays natal. Editions l'harmattan, Paris, 2003, p26,

(**2**)المصدر السابق، ص 33.

(**3**)كتاب الجغرافيا، ص ص 91 و92.

(**1**)لقد حكم سونديانا إمبراطورية مالي بين سنتي 1236 و 1255ميلادي، بينما ألف ابن سعيد كتابه بين 1228 و 1243 م.

(**6**) لقد كانت عملية صيد العبيد تكتسي اهمية قصوي بالنسبة لممالك وامبراطوريات المندي(غانة، مالي،الصوصو) إلى درجة أن المهمة الاساسية التي كانت توكل لجيوشها هي شن غارات من أجل القبض على العبيد. Meillassoux (Claude),Rôle de l'esclavage dans l'histoire de l'Afrique occidentale.In revue Anthropologie et societés,Volume2,Numéro1,1978,p118 dans site web :http://id.erudit.org/iderudit/00875ar

(**3**)Youssouf tata cissé et Wa kamissoko ,La grande geste, tome 1,p203

بأكمله للعبيد يسمى دوندوكو (Doundougou) وكان يبيع معظم أولئك العبيد لشعب الماركا من السوننكي مقابل الملح. وكان أهل فاكولي وأتباعه عندما يزورون مدينة دوندوكو، فإنهم يضعون ملاجم على أفواه من يجيدونهم في طريقهم مثل الملاحم التي توضع في أفواه الخيول والجمال، ثم يأخذونهم إلى بلاد الماركا أو إلى منطقة الساحل في الشمال من أجل مقايضتهم بالملح الذي يجلبونه إلى فاكولي.

كما أن العشائر المندية في عهد سونديانا أو من سبقه على عرش مندي، كانت تقوم قوتهم على عدد العبيد التي يملكونها والمعرفون بديون (Dyon) حيث كان رؤساء العبيد التابعين لكل عشيرة والملقبون بديون - سونديجي (Dyon – Sondidji) يلعبون دورا أساسيا في تقوية العشيرة، ذلك أن العبد من المندي يصبح حرا بعد ثلاثة أجيال، مما يعطي للعشيرة التي كانت تملكه قوة إضافية[1]. وبالتالي فإن انتشار العبودية في بلاد مندي كان مدفوعا بأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية، وبذلك أصبح الإنسان المندي الضعيف يقع تحت نير عبودية رجل مندي آخر أقوى منه.إن هذه الوضعية لم تكن لترق سونديانا الذي كان يسعى إلى توحيد جميع بلاد مندن، وهو بحاجة لكل أبنائه أحرارا ومتآخين وسواسية.

لهذا فبمجرد أن عين كأول منسا لإمبراطورية مالي، صرح سونديانا في خطابه الشهير قائلا: « إن الحرية للجميع، فلنعش في تضامن وفي احترام لبعضنا البعض، والعظمة لمندن ... فمن أراد التجارة فليتاجر، ومن أراد الزراعة فليمارسها، إن المندن يسع الجميع» لهذا كان على سونديانا أن يعلن عن قرار جريء لم يسبقه إليه أي أحد من ملوك إفريقيا أو العالم من قبل، وهو الإعلان عن إلغاء العبودية ومنعها في كل مندن، ثم وسعها بعد ذلك إلى كل المناطق التي كانت تابعة للإمبراطورية المالية[2].

لكن لا بد أن نشير إلى أن سونديانا لم يمنع اتخاذ العبيد وكسبهم لاستخدامهم كخدم في البيوت، لكنه منع تجارتهم منى خلال أسر أشخاص من مندي بيعهم إلى التجار البربر أو العرب، أو مقايضتهم بالملح أو أي سلعة أخرى، وجعل عقوبة من يقوم بذلك الإعدام[3].كما حاول سونديانا أن يعيد للعبيد هيبتهم الاجتماعية بعدما أعاد لهم حريتهم، وذلك من خلال تعيين أحد رؤساء العبيد المعروف بجومبا (Djomba)[4] كمبعوث وممثل شرعي له في إقليم واسولون الذي كان يسكنه الفلاته، وزوده بصلاحيات وسلطات كبيرة تمنحه الحق في وضع الحديد لكل الفلاته الذين ينطقون بكلمة جون (Djon) والتي تعني عبد، كما أوكلت له مهمة قتل كل من ضبط وهو يقبض على شخص بغرض استعباده أو ثبت عنه أنه استعبد شخصا. وقد طبق الجومبا هذه التعليمة بصرامة كبيرة إلى درجة أنه لقب بـ" تاغان منسا " أي ملك منطقة تاغان[5].

كما كلف سونديانا قائديه الشهيرين، وهما فاكولي دومبيا، وتيراماكان مباشرة بعد معركة كيرينا بتوجيه جيشيهما نحو أقاليم البمبارا والفلاته في مناطق مثل جيتومو، بانان، بايا، غوانياكا، غانادوكو، باينكو، كورولاميني وغيرها، حاملين معهم كلمة النظام والتي تمثل

(**1**)Monteil(Vincent) ,L’islam noir, p9

2 Ibid,p28

3) Tidiane N’diaye :Op.Cit, p32.

4 جومبا هو لقب لرئيس العبيد و ليس اسم شخص.

شعار حرب سونديانا وهدفها وهي " الحرية للجميع، إلغاء العبودية، منع بيع الناس " وأعطاهم تعليمات بضرب النخاسين والمستعبدين بدون رحمة، وأينما وجدوهم وأسرهم بعدما يتم تحرير عبيدهم[1].كما زود سونديانا مدينة دوندوكو بإدارة مستقلة، وخلص سكانها من سيطرة أسيادهم[2].

د. تنظيم الاقتصاد:

إن التنظيم الإداري الذي وضعه سونديانا كيتان ساهم بقدر كبير في تنظيم الاقتصاد ونجاعته، حيث عمد إلى توظيف ثروات كل منطقة من مناطق الإمبراطورية في الرفاهية الاقتصادية للدولة، واستغلالها بطريقة عقلانية وبراغماتية. فالغرب خصص لإنتاج المواد الغذائية والزراعية، والوسط خصص لإنتاج الحديد، بينما كان الشمال يزود الإمبراطورية بالملح، ويبقى الجنوب وغاباته مصدرا لجلب البطاطا، ونواة الكولا، ومختلف الدرنيات[3].

ولقد كانت إمبراطورية مالي تعاني كثيرا من نقص الملح، وكانت هذه المادة تتواجد في منطقة الساحل بالشمال أين تسيطر على مناجمه القبائل البربرية. كما انه بعدما ألغى سونديانا تجارة الرقيق، فإنه لم يعد ممكنا مقايضة هذه المادة بالعبيد، لذلك كان عليه أن يستغل ثروات البلاد والبحث عن مصادر أخرى للتجارة بها ومقايضتها بالملح عوض العبيد. ولما كانت أرض مالي غنية بالذهب، فقد دعا سونديانا في خطابه الذي ألقاه عند الإعلان عن ميلاد الإمبراطوريةإلى ضرورة البحث عن مناجم الذهب واستخراجه من أرض مندن التي تزخر به[4].

أما بالنسبة لمعدن الحديد، فقد أوكل مهمة استخراجه وصناعته إلى الأسرى الصوصو المعتقلين خلال حرب كيرينا، حيث أمر سونديانا بتسخيرهم للخدمة في الأفران الكبرى للحدادة والتعدين التي تعد مهنتهم الأصلية، وذلك تكفيرا عما قاموا به ضد مالي، لكنه حرص على أن يعاملوا معاملة طيبة للملتزمين بعملهم[5].

وقد ركز سونديانا كثيرا على تنشيط التجارة التي اعتبرها الشريان الحيوي للأمة من خلال تنشيط تجارة الذهب[6] وتنظيم التجارة النهرية، لكنه وجه اهتماما خاصا للنشاط الزراعي، حيث أدخل إلى مالي زراعة القطن والفستق وشجرة البابايا أو المانغو[7].كما عرفت الإمبراطورية إنتاج الدخن، السورغو والأرز بكميات كبيرة جدا[8].

(**2**) Ibid,p25.,p 30

(**3**) Ibid, p25.

(**4**) Rosa Amelia plumelle - Vribe : Traite des blancs traite des noirs : Aspects méconnus et conséquences actuelles. Editions l'harmattan,(paris, 2008, p50).

)**4**(Youssouf tata cissé et Wa kamissoko :La grande geste, tome 2,p28

)**5**(Ibid,p28

)**6**(Al hassane chérif :L'importance de la parole chez les Mandingues de Guinée. Etudes Africaines, Collection dirigé par Denis pryer. Edité par l'harmattan, paris, 2005, p29.

)**7**(Tidiane N'diaye : Op.Cit, p32-

) **8**(Rosa amelia plumelle – Vribe : Op.Cit, p51

هذا وقد اهتم سونديانا كثيرا بتطوير أساليب تربية المواشي والرعي[1].وهكذا فقد عمل سونديانا طوال فترة حكمه التي دامت 25 سنة حسب ابن خلدون[2]، وواحد وعشرون سنة حسب دولافوس[3]، على تأسيس إمبراطورية واسعة، وتدعيم أركانها، وتعزيز الوحدة الوطنية، و حماية ترابها وشعبها. كما حرص على إسماع صوت مالي الجهات الأربعة من العالم كما جاء في خطابه الشهير الذي ألقاه بعد تنصيبه منسا لكل مندن[4]، وكان له الفضل في ارتقاء عائلة كيتا عندما حصر الحكم في مالي على ذريته من آل كيتا. وبهذا يكون قد حجز لهذه العائلة مكانة في تاريخ مملكة مالي الإسلامية، وسمح لأبنائها بصناعة مجد لم يكن حكرا على مملكتهم، وإنما بقي ذخرا لكل الأفارقة السود فيما وراء الصحراء، ذلك أن هذه العائلة ورغم رحيل زعيمها الأكبر سونديانا، إلا أنها خلفاءه من بعده استمروا في توطيد أركان الدولة وتوسيع حدودها،وإرساء دعائمها إلى أن بلغت أوجها، إلى غاية بداية القرن الثامن للهجرة/14م.

ب.في ميدان . الفنون:

لقد كان أحفاد سونديانا كثيري الشبه بملوك المسلمين وملوك الشرق عامة من خلال ولعهم بالفن واكتسابهم لذوق جمالي رفيع. فلقد كان منساواتهم يستقبلون سفرائهم في قصورهم أين كانت تقام حفلات كبيرة، حيث كان كل وفد عن ولايته يأتي بنموذج فلكلوري خاص بمنطقته من أجل تسلية الملك، حيث كانت هذه الاستعراضات تعرف باسم كوتيبا (Koteba)، وما يزال هذا التقليد قائما إلى غاية اليوم في مدينة كيلا. وتقام خلال هذه الاحتفالات التي تعد التسلية المفضلة بالنسبة لملوك مالي أعابا بهلوانية تجسد دور الصياد الفاشل، أو خلافات الزوج مع زوجاته ومختلف مظاهر الحياة اليومية للمندي.كما تنشد بعض الأناشيد التي ظهرت في عهد والدة منسا موسى وهي نانا كونكو[5].

صحيح أن هذه التقاليد الاحتفالية وجدت قبل وصول عائلة كيتا إلى الحكم، وربما قبل تأسيس دولة المندي، لكنها استمرت في عهد أحفاد سونديانا وخاصة عهد منسا موسى وأخوه سليمان، حيث وصف ابن فضل الله العمري جانبا من هذه الاحتفالات التي كانت تقام في مجلس منسا موسى، عندما يقول: ((وبين يديه (أي منسا موسى) أناس يرقصون وهو يتفرج عليهم ويضحك منهم)).[6] كما ذكر ابن بطوطة جانبا من هذه الاحتفالات التي كانت تقام في يوم العيد.[7]

أما الموسيقى فقد كانت من أهم الأشياء التي ارتبطت بالحياة داخل القصر الملكي لعائلة كيتا، وقد ظهرت لأول مرة في عهد سونديانا كيتا وما زالت قائمة إلى اليوم، وهي

)**1**(Tidiane N'diaye : Op.Cit, p32

(**2**)- العبر، مج6،ص267

(**3**)يحددها دولافوس بواحد و عشرين سنة على اعتبار أن بداية حكمه حسبه كانت في عام 1234م/631هـ، أي عندما استدعاه نبلاء مندن لقيادتهم في الحرب ضد مملكةالصوصو . بينما توفي حسبه سنة1255م/652هـ. (Haut Sénégal-Niger, t2, p28)

(**8**)Youssouf tata cissé et Wa kamissoko :La grande geste, tome 2,p28

(**4**) Niane temsir djibril : Recherches sur l'empire du mali, p53.

(**5**) Ibid.

(**6**) المصدر السابق، ص 115.

(**7**) المصدر السابق،ص 686.

ترافق الأناشيد والملاحم التي تروي أمجاد العائلة الملكة خلال المناسبات، والتي تتخللها الأساطير والمعروفة بالجيلي، أو الروايات الشفوية. وكانت تعزف هذه الموسيقى عن طريق آلة الكورا(La kora) وهي قيثارة صغيرة ذات طابع إفريقي[1]. وقد ظهرت آلة الكورا سنة 1235م، أي في العام الذي انتصر فيه سونديانا على ملك الصوصو، وتحتوي هذه الآلة على واحد وعشرين وترا، وكل وتر له دور معين، وفي مقبض الآلة يوجد تسعة ثقوب مفتوحة إلى الخارج، أما الخشب المركزي فهو يمثل العمود الفقري للآلة، بحيث تشبه هذه الآلة جسم الإنسان إذ تتوفر على قلب ولسان ويد وغيرها، وقد اكتشفت هذه الآلة من طرف قائد سونديانا تيراماغان عندما كان في كهوف كنسالة المتواجدة في مملكة كابو(غمبيا الحالية) خلال غزوه للغرب[2].

وكانت النصوص التي يتم إنشادها على أنغام هذه الآلة ذات طابع شعري ملحمي، حيث يلقي المنشد قصيدته على شكل اغنية أو أنشودة هي مزيج بين الغناء و الرواية (اي ترانيم)، إذ يضبط ايقاع كلماته مع إيقاع الآلة التي ترافقه . كما ان اختيار كلمات أناشيده لم يكن اعتباطيا و لا عشوائيا، بل لابد أن يوافق إيقاع الموسيقى التي تصدرها آلة الكورا[3].

إن الرواة الشفويون يمكنهم استعمال ثلاثة أنواع من التعبير خلال عرض ملحمتهم، وهي: الرواية، الانشاد بالإضافة الى الغناء المرفوق بالموسيقى باستعمال آلة الكورا طبعا، ويوجد هناك شخص واحد فقط قادر على القيام بهذه الاعمال الثلاثة معا و هو زعيم الرواة. أما النساء الذين يطلق عليهم لقب جيلي ـ موسو (jeli-musu) الذين عادة لا يروون الاناشيد والاشعار، لكن يمكنهم غناء بعض الملاحم لكن بمفردهم أو بالاشتراك مع امرأة أخرى بحيث تساعدها عندما تتقطع كلماتها[4].

وتعرف الفرق الموسيقية التي تعزف فيها آلة الكورا المرافقة للأناشيد باسم (بالا فاسيكيBalla Fasseke)، وهي الفرقة الموسيقية التي نسب للراوي الشخصي والرسمي للإمبراطور سونديانا كيتا، و الذيي كان أول من عزف على هذه الآلة، وتتفرع إلى ثلاث طبوع أو مواضيع هي:

) **1**(Niane(djibril Temsir) :Le soudan occidental, au temps des grandes empires, p219.

(**2**) تقول الروايات الشفوية بأن هناك امرأة ساحرة كانت تعزف بهذه الآلة عند كل فجر بالقرب من هذا الكهف، وأنها كانت تؤثر في المحارب الذي حاول أن يملكها وهو تيراماغان، فذهب للبحث عن أصدقائه وهم ثلاث أشهر الرواة الشفويين في مندي بالإضافة إلى ثلاث صيادين من كوني، فتوجهوا معه للقبض على هذه المرأة الساحرة التي تزوجها فيما بعد تيراماغان وأعطى لأحد أصدقائه الرواة وهو"جيليمالي أولي دياباتي" الآلة الموسيقية ، وهذا الأخير نقلها لابنه كانبا(Kanba) و منه انتقلت إلى الرواة الآخرين.

)**3**(John Johnson, Peter Bryant, MihaelaBacou, Brunhilde Biebuyck, GRIOTS MANDINGUES: CARACTÉRISTIQUES ET RÔLES SOCIAUX,Op.Cit,p17.

(**4**)Ibid,p9

- دياندیون(Diandion): و هي اناشيد تروي أمجاد القائد فاكولي[1] ابن أخت سومنغورو كونتي الذي انظم إلى قوات سونديانا، وغزا بلاد الجولوف، وهي تعد تراثا محفوظا بالنسبة لأحفاده.

- بولوبا(Boloba): وهي الموسيقى الخاصة بسومنغور كانتي، وقد ظهرت بعد معركة كيرينا، وأقرها سونديانا كنشيد وطني لكل الماندينغ.

- دوغا(Douga): وهي أغنية المحاربين والموسيقى الخاصة بهم، تنشد خلال المعارك[2].

و لقد أفادتنا شهادة ابن بطوطة بجانب من هذه الاستعراضات التي كانت تعزف في قصر الملك منسا سليمان، فذكر آلة الطرب التي تصنع من القصب القرع وقال بأن لها صوت عجيب، والتي قد تكون آلة الكورا التي تحدثت عنها الروايات الشفوية، خاصة أنه ذكر الغناء الذي يصاحبها خلال احتفالات يوم العيد، أين كانت تتضمن هذه الأغاني مدح السلطان وذكر غزواته وأفعاله وتغني معه النساء والجواري،كما ذكر ضرب الطبول والأبواق و الأنفار .[3]

كما عرفت الساحة الفنية لمالي آلات موسيقية أخرى مثل البلافون (Balafon) البولون (Bolon) والسمبي (Simby) وعرفت إمبراطورية مالي الملاحم الخاصة بسونديانا كأهم الفنون الموسيقية، وتعرف هذه الملاحم باسم سونجاتا فاسا (Soundjata fassa) وهي سيمفونية موسيقية خاصة بكل أبطال معركة كيرينا، حيث تم إنشاء ما يعرف ببالا فاسيكي (Balla Fasseke)، وهي الفرقة الموسيقية التي تمثل الراوي الشخصي والرسمي للإمبراطور سونديانا، وتتفرع إلى ثلاث طبوع أو مواضيع هي:

- دياندیون(Diandion): وتروي أمجاد القائد فاكولي ابن أخت سومنغورو الذي انظم إلى قوات سونديانا، وغزا بلاد الجولوف، وهي تعد تراثا محفوظا بالنسبة لأحفاده.

- بولوبا(Boloba): وهي الموسيقى الخاصة بسومنغور كانتي، وقد ظهرت بعد معركة كيرينا، وأقرها سونديانا كنشيد وطني لكل الماندينغ.

- دوغا(Douga): وهي أغنية المحاربين والموسيقى الخاصة بهم، تنشد خلال المعارك.[4]
ولقد أفادنا ابن بطوطة بجانب من هذه الاستعراضات التي كانت تعزف في قصر الملك منسا سليمان، فذكر آلة الطرب التي تصنع من القصب القرع وقال بأن لها صوت عجيب، والتي قد تكون آلة الكورا التي تحدثت عنها الروايات الشفوية، خاصة أنه ذكر الغناء الذي يصاحبها

(**1**) فاكولي هذا هو جنرال ملك الصوصو (سونغومرو - كونتي) و ابن اخته ، لكن سومنغورو اخذ منه زوجته بالقوة وتزوجها مما جعل هذا القائد يتمرد على خاله و يلتحق بقوات سونديانا كيتا مما ساهم في انتصاره على ملك الصوصو وتحرير مملكة مالي، للاطلاع أكثر انظر:

DoumbiaFakoly,Fakoli : prince du Mande. Récit historique. Editions L'harmattan, Paris, 2003, Pp49, 50 et 51.

)**2**(Niane(djibrilTemsir) , Le soudan occidental, au temps des grandes empires ,Présence Africaine, Paris, 1975, p219.

(**3**) ابن بطوطة(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، تحفة النظار و غرائب الأمصار وعجائبالأسفار(المعروف بالرحلة)، دار صادر،بيروت ،لبنان، 1992م ، ص ص 684 و686.

)**4**(Niane(djibril Temsir) :Le soudan occidental, au temps des grandes empires , p219.

خلال احتفالات يوم العيد، أين كانت تتضمن هذه الأغاني مدح السلطان وذكر غزواته وأفعاله وتغني معه النساء والجواري،كما ذكر ضرب الطبول والأبواق والأنفار.[1]

ج ـ في الميدان الجغرافي (الكشوفات)

- **مملكة مالي والقارة الأمريكية:**

يقول ابن الوردي[2] عن المحيط الأطلسي الذي كان يدعى ببحر الظلمات:((ويسمى المظلم لكثرة أهواله وصعوبة متنه فلا يمكن أحد من خلق الله أن يلج فيه، إنما يمر بطول الساحل لأن أمواجه كالجبال الرواسي وظلامه كدر وريحه ذفر، ودوابه متسلطة، ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى، ولا وقف منه بشر على تحقيق خبر)).[3] لكنه ربما لم يكن يعلم عندما كتب ذلك، بأن مؤرخا معاصرا له وهو ابن فضل الله العمري (المتوفى سنة 749 هـ/1349م) ذكر بأن أحد ملوك السودان يكون قد اجتاح هذا المحيط سنة 707هـ /1307م ولم يعد.

فقد ذكر العمري عن ابن أمير حاجب بأن الملك منسا موسى قد أسر له بأنه كان قبله ملك وهو أبو بكر الثاني، لم يكن يصدق أن البحر المحيط لا يمكن الوقوف على آخره، فأراد الوقوف على هذا الأمر وتحمس له، وجهز مائتا مركبة مملوءة بالرجال، وأخرى مثلها مملوءة بالذهب والماء وما يحتاجه المسافر من زاد ما يكفيهم لسنين، وقال للمسافرين فيه لا ترجعوا حتى تبلغوا نهاية هذا البحر، أو ينفذ زادكم وماؤكم، فساروا وطالت مدة غيابهم إلى أن عاد مركب واحد منها، فسأل كبيرهم عن أخبار رفقائه، فأخبره بأنهم لما ساروا زمنا طويلا في البحر ظهر لهم في وسط البحر واد ذا مجرى قوي، فاختفت في غمرتها كل المراكب ما عدا مركبته التي لم تدخل ذلك الوادي، ورجعوا من حيث أتوا.لكن هذا الملك لم يعجبه كلام ذلك الربان، فجهز ألفي مركبة، ألفا له ولمرافقيه وألفا للزاد والماء، ثم استخلف ابنه منسا موسى وركب البحر المحيط وسافر فيه ولم يعد.[4]

لم يكن العمري هو المصدر الوحيد الذي تكلم عن هذه القضية، حيث نجد رواية مشابهة لها في المصادر الشفوية السودانية، ومفادها أن الإمبراطور المالي أبو بكر الثاني قام بإرسال حوالي330 قارب باتجاه سواحل أمريكا، فرجع ربان واحد من هذه الحملة التي تكون قد اجتازت المحيط.[5] وحسب الرواية الشفوية دائما فإن سكان القارة الأمريكية يكونوا قد رحبوا بالزعيم المالي وهنؤوه على انجازه، أما هو فقد بعث رسولا إلى مالي ليخبرهم

---

(1) المصدر السابق، ص ص 684 و 686 .

(2) هو الشيخ الفقيه النحوي القاضي المؤرخ زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري البكري المشهور بابن الوردي ،عاش بين(691 - 749 هـ / 1292 - 1349 م) من شعراء القرن الثامن الهجري . ولد في المعرة غرب مدينة حلب بالشام (سوريا) زمن المماليك سنة 689 هـ ((وقيل أنه ولد سنة 691 هـ)) كان من علماء اللغة العربية والنحو والفقه والأدب والتاريخ كما دل على ذلك تلك المصنفات المتنوعة له، اشتهر بالزهد والورع وحسن الخلق وطيب المعشر، فكانت له مهابة في قلوب معاصريه.تولى القضاء في منبج شيزر وحلب، ثم ما لبث أن ترك ذلك كله وعزل نفسه لمنام رآه كتب أبياتاً... =في ذم القضاء وأهله، ثم اشتغل بالتعليم والتأليف حتى شاع ذكره وطار صيته في البلدان، توفي بالطاعون سنة 749 هـ/1349م .

(3) ابن الوردي (سراج الدين أبي حفص عمر)، خريدة العجائب و فريدة الغرائب.طبع بمصر، سنة 1922، ص 54.

(4) العمري:المصدر السابق، ص ص120و 121.

)**5**(Xavier van der stappen ,L'Afrique du fleuve de Niger, le Dioliba en canoé. Editions l'Harmattan, Paris, 1996, p151.

بوصوله وتنصيب أخاه منسا موسى ملكا على مالي.[1] وبهذا يحق لنا أن نتساءل هل فعلا تمكنت عائلة كيتا من اكتشاف القارة الجديدة ثلاثة قرون قبل الرحالة الايطالي كريستوف كولومبوس؟

في الحقيقة نحن نجهل سبب انفراد العمري بسرد تلك الرواية، وعدم نقلها عنه من طرف المصادر العربية، فحتى ابن خلدون الذي يعد مصدرنا الكبير عن ملوك مالي منذ برمندانه، لم يكلف نفسه عناء نقل هذه المعلومة عن العمري رغم أنه توفي بعده بحوالي ستين سنة (توفي ابن خلدون سنة 808هـ/1406م)، وهذا ربما لعدم تصديقه لتلك الرواية،كمالم يصدقها معظم المؤرخين الغربيين الذين اعتبروا القصة مجرد حكاية هزلية،[2]ومنهم من همّشها وأهملها عن قصد حتى لا تعاد كتابة التاريخ من جديد،[3] لكننا في المقابل نرى بأن هناك عدة دلائل وقرائن تجعل رواية العمري تقوم على أسس تاريخية وعلمية معقولة.

فالرواية الشفوية تقول بأن أبا بكر الثاني اعتمد في حملته تلك على خبراء من العرب المسلمين، وأنه انطلق من خليج غامبيا واختفى في عرض السواحل البرازيلية نتيجة تمرد بعض الرواة الشفويين(المنشدون) الوثنيين الذين كانوا يرافقونه بسبب تنكرهم لدور العلماء العرب المسلمين في هذه الرحلة نظرا للصراع الخفي القائم آنذاك بين المسلمين والوثنيين داخل القصر الملكي وبين حاشيته.[4]

وهنا يمكننا أن نعود إلى خبرة وتفوق العرب المسلمين في الملاحة البحرية خلال العصور الوسطى، والذين سبق لهم أن خاضوا تجارب مماثلة حسب المصادر العربية حتى قبل رحلة أبي بكر تلك. فيذكر الحميري[5]بأن أحد أهالي الأندلس يدعى بالخشخاش، قام هو وجماعة من فتيان قرطبة وأحداثها بركوب مراكب واستعدوها ودخلوا البحر المحيط، وغابوا مدة ثم أتى بغنائم واسعة وأخبار مشهورة.

)**1**(Doudou N'diaye rose ,l'histoire de l'épopée Mandingue. In site : http://www.si.umish.edu. Consulté le : 20-06-2008

(**1**) حول هذا الموضوع انظر:

Bernard Lugan ,God bless Africa ,Contre la mort programmé du continent noir.2ème édition, Editions Carnot, New York, USA, 2003, pp de58 au151

(**2**) Leyden et Murray (Hugh) ,Histoire complète des Voyages et découvertes en Afrique, pp86,87.

(**3**) Xavier van der stappen :Op.Cit, p152

(**4**) هو محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري .عاش في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/13م. ولد بمدينة سبتة، يرجح أنه كان كاتبًا يعمل في توثيق العقود وترجع شهرة الحميري إلى كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار و ... = معجم جغرافي لا يخلو من سرد بعض الأخبار والوقائع التاريخية، ومرتب على حسب الحروف. وعلى الرغم من أن الحميري نقد الإدريسي نقدًا شديدًا في بداية كتابه، إلا أنه نقل عنه كثيرًا وخصوصًا في وصف أسبانيا، وقد اهتم الروض المعطار بوصف المدن والأقطار والجزر وبعض المحيطات والبحار)، وقد وصف كثير من الباحثين الحميري بأنه نقل كثيرًا عن غيره ومع ذلك فإليه يرجع الفضل في حفظ كثير من الروايات التي تُعد أصولها مفقودة.

كما يروي ابن الوردي بأن جماعة من أهل أشيونة (لشبونة) وهم ثمانية أنفس وكأنهم بنو عم، اشتروا مركبا كبيرا وحملوا فيه من الزاد والماء ما يكفيهم لمدة طويلة، وركبوا متن هذا البحر ليعرفوا ما في نهايته، وقرروا ألا يرجعوا حتى ينتهوا إلى البر الغربي أو يموتوا، فسافروا فيه لمدة أحد عشرة يوما حتى دخلوا إلى بحر عظيم وموجه كبير كثير القروش فأيقنوا بأن مصيرهم الهلاك فرجعوا مع البحر سالكين الجنوب لمدة أثني عشرة يوما فدخلوا إلى جزيرة فيها عدد لا يحصى من الغنم طعمها مر، وبها ماء عذب ولا يوجد بها بشر، فتركوها بعدما أخذوا جلود الأغنام معهم وساروا في البحر إثنتا عشرة يوما أخرى إلى جهة الجنوب حتى وصلوا إلى جزيرة فيها عمارة فقبض عليهم أهلها وهم رجال شقر الألوان طوال القد، وأخذوهم إلى ملكهم الذي كلمهم عن طريق ترجمان، ولما عرف سبب خوضهم للبحر المحيط ضحك منهم ساخرا وقال لهم : إني وجهت من عندي قوما في هذا البحر ليأتوني بخبر ما فيه من العجائب، فساروا مغربين لمدة شهر ثم رجعوا بدون فائدة.[1] والملاحظ على رواية ابن الوردي أن ملك الجزيرة الذي كلم الإخوة كان لديه مترجم يتقن العربية، وهو دليل آخر على أنهم لم يكونوا من وصل إلى ذلك المكان في المحيط الأطلسي.

ويذكر المؤرخ التونسي عثمان الكعاك بأن البربر ذهبوا إلى القارة الأمريكية في أول الأمر مع القرطاجيين، ثم مع مسلمي الأندلس الذين كانوا يترددون عليها، كما تمكنوا من وضع أقدامهم في العالم الجديد حتى قبل مجيء الفنيقيين أي خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وأن هناك قبائل كاملة في أمريكا تحمل أسماء بربرية، حيث توجد قبيلة مطماطس مثلما توجد ببلاد المغرب قبيلة مطماطة، وتوجد قبيلة ماية التي تقابلها قبيلة لماية، وقد استقى هذا المؤرخ معلوماته من ضابط أمريكي كتب عن البربر.[2]

فهذه الشهادات كلها تبين بأن المسلمين كانت لهم سوابق في ميدان الملاحة وخاصة فيما يخص المحيط الأطلسي الذي خبروه جيدا، فكان اعتماد أبي بكر الثاني عليهم في حملته قائم على سابق معرفته بهذا الموضوع، مثلما اعتمد كريستوف كولومبس على خبرة أحمد بن ماجد بعد ثلاث قرون لاكتشاف أمريكا.

وهناك دلائل وشواهد مادية تجعل رواية العمري معقولة، منها اكتشاف ثلاث كتابات في الولايات المتحدة الأمريكية بعضها مكتوب بالحروف الإفريقية بلغة المندي وبعضها الآخر مكتوب بالعربية وبالخط الكوفي، وفي بحر الكاراييب أين ما يزال يعيش الهنود الحمر إلى غاية اليوم توجد قبائل مازالت تكتب بحروف مالنكية وهي لغة أهل مالي.[3] وخلال اكتشاف كريستوف كولومبس للقارة الأمريكية أخبره واحد من الهنود الحمر بأنه قد سبقه بمدة طويلة قوم ذووا بشرة سمراء قدموا من البحر، لكن كريستوف كولومبس تجاهل الأمر ولم يعره اهتماما كبيرا، إلا أنه وجدت في يومياته الخاصة باليوم الثالث بأنه وجد بالقارة

(**1**) ابن الوردي (سراج الدين عمر)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب. مطبعة مصطفى البائي الحلبي وأولاده ، مصر،1341هـ/1922م، ص ص 18 وما يليها.

(**2**) الكعاك عثمان، البربر.نشر مؤسسة تامغناست، تونس،1375 هـ، ص12 .

(**3**) علي محمد الغامدي، مالي و القارة الأمريكية. مقال نشر في الموقع الالكتروني: www.wekipedia_mali :org نشر يوم: 10 -09 -2007

الجديدة معدن يتمثل في خليط من الذهب والنحاس والفضة، وهو معدن كان التجار السودان يصدرونه إلى إسبانيا.[1]

كما وجد هذا الرحالة الجنوي بالقارة الجديدة آثارا وخاصة ثماثيل مماثلة لتلك التي كان يصتعها المندي،[2] و في عام 1966م، وخلال المهرجان العالمي للفنون السودانية في دكار بمساهمة ليوبولد سيدار سنغور(Leopold Sedar Senghor)[3]عرضت بصفة علمية ورسمية تماثيل مصنوعة بالطين المشوي(الفخار) تعود إلى فترة ما قبل الكولومبية (Précolombienne)[4] والتي تمثل كل الأصناف الفنية السودانية المعروفة في إفريقيا.[5] وهناك عدة كتابات غربية وأمريكية تقر هذه الحقيقة وتؤكدها مثلما جاء في كتاب ايمانويل ايريسكو إبيرا (Emanuel Erisko ebira) بعنوان التاريخ القديم لاحتلال المكسيك (Historia antigua de la conquesta de mexico) بأن أمريكا الوسطى كانت عموما و البرازيل خصوصا كانت عبارة عن مستعمرات لشعوب سوداء جاؤوا من إفريقيا.و هناك كاتب أمريكي يدعى ليون فرنيل، كان أستاذا بجامعة هارفارد الف كتابا سنة 1920م بعنوان إفريقيا واكتشاف أمريكا (Africa and the discovery of america) ذكر فيه بأن كريستوف كولومبس أشار إلى وجود هناك مندبين في شمال ووسط القار الأمريكية حيث تزاوجوا مع قبيلتين من قبائل الهنود الحمر.[6]

ويذكر الأستاذ إيفان فان سرتيما (Ivan van Sertima)[7] مؤلف كتاب بعنوان: جاؤوا قبل كولومبس(They came befor Colombus) الذي يتكلم فيه عن أمريكا ما قبل الكولومبية بأنه لا يريد أنيثبت بأن الأفارقة هم من اكتشفوا القارة الأمريكية، لكن كانت لهم اتصالات معها قبل الجميع، وهؤلاء الأفارقة يعتقد بأنهم مصريو بلاد النوبة. وحسب فان سرتيما دائما فإن هذه الهجرة الإفريقية كان لها دور كبير في صنع تلك التماثيل السوداء، ويضيف بأن الشعوب ذات الأصول الإفريقية في المكسيك، فنزويلا، البيرو، كولومبيا، والهندوراس، فقد

)**1**(Tidiane N'diaye, Op.Cit, p49.

)**2**(Milet(Eric) et Manaud(Jean-Luc) ,Mali.Editions Olizane, Genève, 2007, p34.

(**3**) هو شاعر ،كاتب ورجل سياسي سنغالي، ولد يوم 09 أكتوبر 1906 م . كان أول رئيس سنغالي (بين 1960و-1980م)، كما كان أول إفريقي جلس بالاكادمية الفرنسية، وكان أيضا وزيرا في فرنسا قبل استقلال بلاده، خلال الثلاثينيات من القرن العشرين ارتبط بعدد من المثقفين الأفارقة بالخارج وانشؤوا جريدة الطالب الأسود والتي خلالها جاء بمصطلح نغريتود(Négretude) أو السودائية التي يشرحها بما يلي (السودائية هي بكل بساطة أن تعترف بأنك أسود، و تقبل مصيرك كأسود، و بتاريخك و ثقافتك).

(**4**) إن الحضارة ما قبل الكولمبية أو ما قبل الاسبانية (Préhispanique) يقصد بها الفترة التي ساد فيها السكان الأصليون في أمريكا اللاتينية قبل اكتشافها من طرف كريستوف كولومبوس.

)**5**(Tidiane N'diaye ,Op.Cit, p49.

(**6**) علي محمد الغامدي، المرجع السابق.

(**7**) هو أحد الكتاب الأمريكيين وأحد قادة ما يعرف بباراسونتريزم (Paracentrisme)، وهي حملة تبحث عن صيغة لإعطاء الثقافة والشخصية الإفريقية دور في التاريخ العالمي، ويعتقد أصحابها بأن الغرب يقللون من أهمية الحضارات الإفريقية، لذلك أخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عنها.

بقوا يحتفظون بالشعور بأن أغلبية سود أمريكا من غير الميلانيزيين (Mélanisiens)[1] كانوا موجودين في القارة الأمريكية قبل الأوربيين[2].

وعموما فإن قضية اكتشاف للقارة الأمريكية من طرف أحد أفراد عائلة كيتا المالية، لم يعد من المواضيع الهزلية والمضحكة كما يريد بعض المؤرخين الغربيين أن يصوروه لنا في محاولة منهم لإخفاء الحقائق التاريخية التي تزعجهم، لأن هذه الحقائق كفيلة بجعل التاريخ الأمريكي كله يرتبط بالشعوب السوداء حسب ما يذهب إليه الانتروبولوجي السنغالي تيديان نداياي (Tidiane N'diaye)[3] فلقد كتب الأستاذ النرويجي بورن روا ربي (Bjorn roar bye) مقالا بعنوان (أبو بكر الثاني اكتشف أمريكا قبل كريستوف كولومب) جاء فيه بأنه في سنة 1982م ذهب في حملتين إلى جزر مالديف مع المستكشف تور هيرداهيل (Thor Hayerdahl) وعند عودته إلى أوربا سأل هذا المستكشف هل سبق له وأن سمع بملك أسود يدعى أبا بكر الثاني فأجابه بالإيجاب، وهو ما شجعه على البحث أكثر عن هذا الرجل، فبحث في الانترنت، واتصل بالمؤرخين والأثريين والجغرافيين وغيرهم، وتبادل معهم الكتب والمعلومات، فتعجبت من ذلك الكم الهائل من الأبحاث التي قاموا بها لعدة سنوات حول هذا الموضوع ودون أن يخفوا عنه الحقائق، فاستنتج في الأخير بأن هناك من يريد تعمد إخفاء جزء من التاريخ لغاية لا يعلمها إلا الله[4].

(**1**) الميلانيزيين les Mélanisiens : هم شعب استقر في كاليدونيا الجديدة منذ حوالي أربعة آلاف سنة على الأقل، ويعتقد أنهم قدموا من منطقة بورنيو بالفلبين، وقد انتشروا أيضا في جزر المحيط الهادي .

) **2**(Pathé Diagne,Tarana ou L'Amérique précolombienne : Un continent Africain. Editions l'harmattan, Paris, 2010, p226.

(**3**) Op cit. p49

(**4**) Bjorrn Roar bye , Aboubakary 2roi du Manding découvert l'Amérique avant Christoph colombe. In : *Afrique passion*, éditions GAP, ville franche de Rouergue, 2002, N°3.